

الأبعاد المعقدة للصراع بين تركيا وحزب العمال الكردستاني على ارض إقليم كردستان

19-07-2024

الكتاب

زريان روجهلاني

ملخص : بعد عيد الأضحى بدأت سلسلة من التحركات العسكرية بين تركيا وحزب العمال الكردستاني في حدود محافظة دهوك. وتشهد المناطق الشمالية من قضاء أميدي في محافظة دهوك اشتباكات على أشدها، لكن احتمالية تصاعد الإشتباكات ووصولها الى جبل كارة الذي هو في عمق كردستان ب40 كم، تعد احدى نطاق التحول في جغرافيا الإشتباكات التركية مع حزب العمال والتي يمكن بدورها ان تترك أثارا سياسية وعسكرية. بالطبع الوضع الحالي في الشرق الأوسط وطبيعة الإشتباكات تظهر احتمالية إستمرار هذا الوضع اكثر من المتوقع.

بعد عيد الأضحى بدأت سلسلة من التحركات العسكرية بين تركيا وحزب العمال الكردستاني في حدود محافظة دهوك. وتشهد المناطق الشمالية من قضاء أميدي في محافظة دهوك اشتباكات على أشدها، لكن احتمالية تصاعد الإشتباكات ووصولها الى جبل كارة الذي هو في عمق كردستان بـ40 كم، تعد احدى نطاق التحول في جغرافيا الإشتباكات التركية مع حزب العمال والتي يمكن بدورها ان تترك آثارا سياسية وعسكرية. بالطبع الوضع الحالي في الشرق الأوسط وطبيعة الإشتباكات تظهر إحتتمالية إستمرار هذا الوضع اكثر من المتوقع.

البعد الجيوسياسي للصراع

الإشتباكات الأخيرة بين تركيا وحزب العمال الكردستاني جعلت العلاقات بين حزب العمال الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني قمة في التشنج. حيث الحزب الديمقراطي يرى ان حزب العمال نقل المعركة الى صلب الأراضي الكردستانية بينما يتهم حزب العمال الحزب الديمقراطي بالتعاون مع تركيا. ومع ذلك، فإن الدافع الرئيسي وراء الأحداث الحالية قد يكون بعدا جيوسياسيا أقوى من التوترات الداخلية. وبدورها أظهرت تركيا أنها لن تنتظر إذناً من العراق أو إقليم كردستان لإعلان حالة الطوارئ، كما فعلت في التسعينيات. يعتقد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن زلزالا جيوسياسيا قد **ضرب** العالم وأن عدم الاستقرار السياسي والعسكري سيستمر نتيجة لذلك.

وتشعر تركيا **بالقلق** إزاء إطالة أمد الحربين بين **روسيا** وأوكرانيا، والحرب الإسرائيلية مع حماس، والتي تعتقد أنها ستؤثر على أمنها القومي. ربما يكون القلق الأكثر إلحاحاً بالنسبة لتركيا هو أنه إذا تصاعدت الحربين، فإن فرص حزب العمال الكردستاني للحصول على الأسلحة والمساعدات الأجنبية ستزداد. فمثلاً إذا اتخذت تركيا موقفاً مع الناتو ضد روسيا ووقفت الى جانب اوكرانيا وفي حالة تصعيد الحرب الروسية الأوكرانية، فمن المحتمل أن تحصل على أسلحة روسية، وخاصة صواريخ أرض جو أو ستكون التكنولوجيا الأوكرانية أكثر في السوق السوداء من قبل حزب العمال الكردستاني. وقد تحدثت الحكومة الإسرائيلية مرارا وتكرارا ضد دعم أنقرة لحماس، وتشعر أنقرة بالقلق من أنه إذا تصاعدت الحرب، فإن الحديث عن المساعدة المباشرة أو غير المباشرة من إسرائيل وحلفائها لحزب العمال الكردستاني سوف يصبح امر واقع. قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، بعد حضوره قمة الذكرى السنوية الخامسة والسبعين لتأسيس الناتو، إنهم ما زالوا **بعيدين** عن التوصل إلى اتفاق مع طغائهم بشأن التعاون في الصناعة العسكرية ومكافحة الإرهاب.

لقد أوضح أردوغان أن الجغرافيا خلقت فرصاً وتهديدات لتركيا، التي لا تستطيع الانفصال بين الكتلتين الشرقية والغربية، لذلك **طورت** علاقاتها مع الصين وروسيا إلى جانب الناتو تطمح بعضوية بريكس ودور اكبر في منظمة **شنغهاي** للتعاون. وتعتقد تركيا أن بإمكانها الحد من تحركات حزب العمال الكردستاني من خلال تطوير العلاقات السياسية مع دول المنطقة، خاصة العراق وإيران، فضلا عن تطبيع العلاقات مع سوريا وإمكانية إحياء اتفاق **إدنا**. لكنها تريد عسكرياً إنشاء منطقة أمنية جنوب حدودها، وهو ما بدأ في 2016 في سوريا وفي 2019 في إقليم كردستان. المسؤولون الأتراك **ينظرون** إلى ما هو أبعد من حدود الدستور الوطني الذي اعتمده مجلس المبعوثان مطلع عشرينيات القرن الماضي، والذي يشمل محافظتي إدلب وحلب في سوريا إلى إقليم كردستان، وبطبيعة الحال، سيكون الوجود العسكري التركي من شمال سوريا إلى إقليم كردستان أكثر وضوحاً على هذا الأساس.

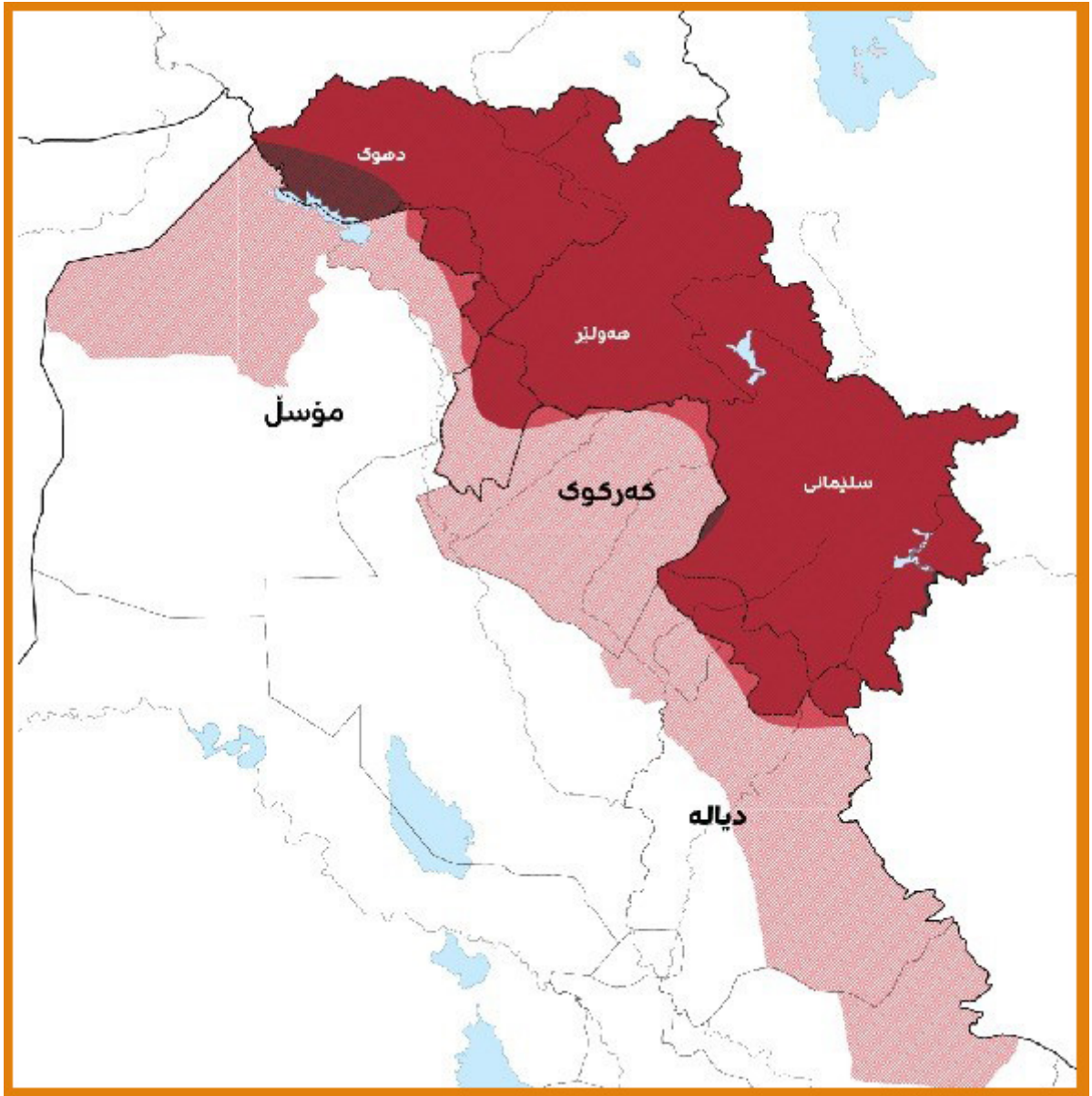
توقيت وجغرافيا الصراع

وقال وزير الدفاع التركي إنهم يريدون إغلاق عملية المخلب-الفلفل قبل تساقط ثلوج الشتاء. وحددوا جبل غارا كهدف أخير لهم ويقفون انهم سيستمرؤوا مادام هناك وجود لحزب العمال الكردستاني. وقال حزب العمال الكردستاني إنه لا يزال في المنطقة **ويقايل** في كل مكان. ويبدو أن أحد أهداف تركيا يتلخص في تعزيز الحدود الجغرافية الحالية لحزب العمال الكردستاني. ين عامي 2019 و2023، وقع ما مجموعه 1154 حادثة عنف منظم، بما في ذلك الاشتباكات العسكرية بين حزب العمال الكردستاني وتركيا، وقع حوالي 64% منها في إقليم كردستان. وهكذا، غيرت تركيا جغرافية قتال حزب العمال الكردستاني وابعدها عن نفسها.

وتريد تركيا ربط خط أمني من خوكورك في محافظة أربيل إلى حفتانين في دهوك. بالإضافة إلى ذلك، من المرجح أن تهدف إلى تعزيز القواعد العسكرية التي أنشأتها عام 2019.

في العام الماضي، هاجم حزب العمال الكردستاني قاعدتين للجيش التركي في الشتاء، مما يدل على أنه، حتى ولو بشكل محدود، ربما وجد طريقة لتجنب الطائرات بدون طيار والاشتباكات خلال الثلوج والأمطار الشتوية. ولذلك، تريد تركيا استهداف الجبهة الخلفية الأقرب لحزب العمال الكردستاني في أماكن مثل متين وحفتانين وأفانسين وباسيان. ويعزز هذا الافتراض احتدام الاشتباكات في الجزء الشمالي

من خط أميدي-ديريلوك، الذي يشمل الطرق التي تربط غارا بالمناطق الجبلية القريبة من الحدود.



حتى عام 2019، كانت أهمية الخط الحدودي الذي يبدأ في قضاء دركار في زاخو ويشمل أماكن مثل حفتانين ومئين وقرية زاب وقرية بليندا إلى آفاشين وباسيان بالقرب من الحدود ومن هناك إلى خوكورك وخنيرة في محافظة أربيل، كان. المزيد لكلا الجانبين. أطلقت تركيا ست عمليات **شوكية** منذ مايو 2019، وعلى عكس العمليات السابقة، أنشأت المزيد من القواعد والمقرات في المناطق الجبلية لقطع خطوط النقل والخدمات اللوجستية الأولى لحزب العمال الكردستاني.

بحسب بحثي حول جغرافية بيانات العنف المنظم ل **UCPD**، بين عام 2019 ونهاية عام 2023، بلغ عدد الحوادث بين تركيا وحزب العمال الكردستاني في إقليم كردستان 737، منها 77.88% وقعت على هذا الخط. أما الباقي فقد وقع في الخط الثاني من الاشتباكات بين تركيا وحزب العمال الكردستاني، والذي يشمل أماكن مثل سنجار ومخمور وغارا وقنديل ومنطقة السليمانية. على سبيل المثال، وقعت 159 اشتباكات وحادثه عنف مسلح في أماكن مثل وادي الزاب، و142 في جبل مئين، و65 في آفاشين، و58 في حفتانين، لكن العدد انخفض إلى 41 في أماكن مثل غارا. غارا هي ثاني أعلى سلسلة جبال في إقليم كردستان، وتمتد من الغرب إلى الشرق.

بالنسبة لحزب العمال الكردستاني، تعتبر غارا، مثل قنديل، العمود الفقري للاستعدادات اللوجستية والتدريب والتنظيم، والتي اكتسبت أهمية بعد انتشار الجيش التركي في بعض الخطوط الأمامية على الحدود. بالنسبة لتركيا، تعتبر غارا الحلقة الأخيرة في استكمال استراتيجية إبعاد حزب العمال الكردستاني عن الحدود.

البعد العسكري

كانت الطائرات بدون طيار التركية والقوات الجوية فعالة ضد الحركات الجماعية التقليدية لحزب العمال الكردستاني. لكن لجوء حزب العمال الكردستاني إلى بناء الكهوف والقتال في الأنفاق جعل من قوات الكوماندوز، وأغلبها طائرات هليكوبتر، جزءاً من التكتيكات التركية في منطقة الصراع، إلى جانب إنشاء قواعد عسكرية مؤقتة للسيطرة على التحركات على الأرض.

ويبدو أن هذا قد تغير أكثر الآن بعد أن غيرت تركيا وحزب العمال الكردستاني أساليبيهما. على عكس الماضي، جلبت تركيا المزيد من المشاة وركزت على السيطرة على الطرق، **وثبتت** نظام الدقاع الجوي "كوركوت"، ويرجع ذلك على الأرجح إلى تغير نمط حركة حزب العمال الكردستاني.

ومن غير المعروف إلى أي مدى قام حزب العمال الكردستاني بتطوير أو استيراد طائرات بدون طيار وأنظمة مضادة للطائرات بدون طيار، لكن بعض الخبراء الأتراك يعتقدون أن حزب العمال الكردستاني **لديه** صواريخ مضادة للدبابات (ATGM)، وصواريخ SA-18 الروسية وطائرات بدون طيار كاميكازي. وتقول بعض المصادر الإعلامية إن حزب العمال الكردستاني يستخدم أنواعاً أكثر تقدماً من الطائرات بدون طيار من أي وقت مضى. **لديه** أيضاً طائرة بدون طيار كاميكازي أرض-جو يمكنه استخدامها لإسقاط الطائرات بدون طيار. وأضاف: "الأسلحة التي يقدمها لنا حلفاؤنا باعتزاز **موجودة** في مستودعات حزب العمال الكردستاني". ونتيجة كل ذلك أن القتال هذه المرة لن يعتمد فقط على الطائرات بدون طيار والقوات الجوية، ومرة **أخرى** سيزداد دور المشاة في الاشتباكات على الجانبين، وهو ما يعني جلب قوات من الجيش التركي.

تأثير الإشتباكات على إقليم كردستان والعراق

بشكل عام، أدت الاشتباكات الحدودية، التي توغلت الآن إلى عمق إقليم كردستان، إلى زعزعة استقرار الوضع في المناطق الحدودية. ولا يبدو أن الحلول التي طرحتها حكومتا العراق وإقليم كردستان لإنشاء المزيد من نقاط التفتيش العسكرية على طول الحدود لمنع المزيد من تراجع حزب العمال الكردستاني ووصول الجيش التركي، كان لها تأثير كبير على الحد من الاشتباكات. بل على العكس من ذلك، فقد رفع حزب العمال الكردستاني التوترات مع حكومة إقليم كردستان، وخاصة الحزب الديمقراطي الكردستاني، إلى مستوى عالٍ جعله أقرب إلى الحرب من أي وقت مضى.

وبطبيعة الحال، فإن أول من يعاني من استمرار اشتباكات تركيا وحزب العمال الكردستاني في عمق إقليم كردستان هي أربيل وبغداد.

وهذا أمر سيئ بالنسبة لأربيل لأنها ستفقد السيطرة العملية على جزء من أراضيها، والأسوأ بالنسبة لبغداد، لأن التوترات تصاعدت مع رغبة بغداد في تطوير العلاقات مع تركيا وتجنب قتال حزب العمال الكردستاني. هذا بالإضافة إلى أن هذا الوضع يؤثر على سيادتها ويسبب المزيد من المشاكل. إذا اتخذت تركيا إجراءً، فلن يكون ذلك في مصلحة إيران والجماعات المسلحة لأنهم يرون تركيا عضواً في حلف شمال الأطلسي وحليفاً للغرب على أي حال. على الخارطة، تبدو التحركات لتوسيع منطقة النفوذ بين تركيا وإيران متناقضة.

ويتحرك نطاق نفوذ إيران في العراق وسوريا من الجنوب والغرب إلى الشمال والشرق، بينما تتحرك تركيا في الاتجاه المعاكس. النفوذ الإيراني في السليمانية، وجود مجموعات الحشد الشعبي في مناطق النزاع حتى سنجار، عدم اليقين بشأن الوضع الإداري في محافظتي ديالى وكركوك، التوترات حول الإدارة المحلية في الموصل، وجود مجموعات مسلحة في سوريا يتم تعزيزها من قبل تركيا ويقطعها وجود حزب العمال الكردستاني على الخط الواصل بين قنديل وحفتانين على الحدود الشرقية الشمالية لإقليم كردستان. وبسبب هذا الوضع، حتى أربيل حاولت تطبيع علاقاتها مع طهران وبغداد أكثر من أي وقت مضى. ولذلك، فإن وصول تركيا إلى مكان مثل غارا من المرجح أن يثير احتجاجات الجماعات المسلحة العراقية. وقد لا يكون لدى الجانب العراقي مشكلة كبيرة في حصار الجبل وقطع الطرق المؤدية إلى أماكن مثل متين وحفتانين والزاب وجالي باليندا وأفاشين. وفي عام 1992، وبعد القتال بين الجبهة الكردستانية وتركيا مع حزب العمال الكردستاني، انتقلت بعض قوات التنظيم من بادينان إلى زالي في محافظة السليمانية. لذلك، ليس من المستبعد أنه إذا كانت هناك محاولة لإقناع حزب العمال الكردستاني بإخلاء جبل غارا أو على الأقل خفض قواته وإعادة توطينه، فإن تركيا ستوافق في النهاية.